مجلة الباحث
موقع المجلة:/https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh

دور الراوي المشارك في تشكيل الهوية الثقافية في روايات وارد بدر السالم

دعاء محمد جعفر أ. م. د عهود ثعبان يوسف
جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية

التخصص العام للبحث: اللغة العربية التخصص الدقيق للبحث: الأدب العربي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

وارد بدر السالم، الراوي، الراوي المشارك، الهوية.

المستخلص باللغة العربية:

يبحث هذا العمل في دور الراوي في تشكيل الهوية الثقافية مكوَّنة من جوانب عدّة في حياة الأفراد المنتمية إلى مجتمعٍ ما. يبدأ من توضيح مفهوم الراوي والهوية، وانطلاقا لفهم الجوانب العامة التي بمحصلتها النهائية تتكون الهوية الثقافية عن طريق هذا الراوي، ثم ننتقل إلى قراءة نصوص مختارة لنماذج من روايات وارد بدر السالم، ونحللها تحليلا بنيويا لرصد هذا الدور المهم الذي يقوم به الراوي لتشكيل الهوية؛ ولتحقيق ذلك اعتمدت الدراسة المنهج البنيوي السردي في قراءة النصوص وتحليلها؛ لأن هدفها الأساس ليس وصف الهوية من خارج النص أو تفسيرها بالعودة إلى سياقاتٍ اجتماعية/تاريخيةٍ خارجة عنه، وإنما الكشف عن كيفية بنائها داخل الخطاب الروائي نفسه. وقد بدا المنهج البنيوي السردي الأنسب؛ لأن التحليل ظل ملازمًا للبنية النصية، ومتمركزًا حول الراوي بوصفه محورًا تتفرع عنه العناصر التي تُنتج المعنى. وقد قُسّمت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، الأول تناول الدّين وما له من أثر كبير في تشكيل الهويّة الثقافية وذلك عن طريق الرّاوي في النّص.وتطرق الثّاني للسياسة ودورها أيضًا، ثم الثالث متناولاً الجّانب الجنسي. وهذه الجّوانب الثلاث هي المثلث الذي يرتكز عليه أي مجتمع من المجتمعات، وكلّها لو أُسيءَ توجيهها؛ تؤدي إلى أزمات نفسية تسهم بزعزعة الهوية؛ ولهذا فإنّ مما خلصت إليه هذه الدراسة في النّهاية، فقدان الهوية يكون نتيجة أزمات نفسية، أو إن الازمات النفسية تؤدي بالنهاية إلى فقدان الهوية، وعليه فالهوية ترتبط بقوّة بالحالة النفسية.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

تُعَدّ الروايةُ من أكثرِ الأجناسِ الأدبية قدرةً على تمثيلِ التحوّلات الاجتماعية والثقافية؛ لأنها لا تكتفي بسردِ الوقائع، بل تُعيد تشكيلَها عبر وسيطٍ فنيٍّ هو الراوي؛ ذلك الصوت الذي يختار زاوية النظر، ويُرتِّب الأحداث، ويُحدِّد ما يُقال وما يُسكَت عنه، فتتكون عن طريقه دلالاتُ النص، وتتشكل تبعًا لذلك ملامحُ الهوية الثقافية داخل العالم الروائي. ومن هنا تتجه هذه الرسالة إلى دراسة دور الراوي في تشكيل الهوية الثقافية في المتن الروائي للكاتب وارد بدر السالم.

وتتحرك الدراسة ضمن منطقةٍ بحثية تتصل بصلب السرد والهوية معًا، إذ تلاحظ الباحثة قلة الدراسات التي ربطت بين الراوي والهوية الثقافية ربطًا مباشرًا بوصف الراوي أداةً منتِجةً للهوية

داخل النص، وهو ما يضع هذه الدراسة في منطقة بحثية جديدة تتطلب جهداً مضاعفاً في استقصاء الآليات السردية التي تُنتج تمثيلات الهوية وتعيد صوغها.

وتتحدد عيّنة الدراسة في روايات وارد بدر السالم التي سنكشف عن طريقها صور الهوية الثقافية كما تتجلى داخل البنية السردية، ولا سيما ما يتصل بالهوية الدينية والسياسية والجنسية/الجندرية وغيرها بحسب ما يتيحه النص من تمثيلات.

وقد عمدت الدراسة هنا الى تحديد دور الراوي المشارك في تشكيل الهوية الثقافية من داخل التجربة السردية.

تمهيد

يعدّ الراوي: " واحداً من شخوص القصّة، إلّا أنّه قد ينتمي إلى عالم آخر غير العالم الذي تتحرك فيه شخصياتها، ويقوم بوظائف تختلف عن وظيفتها ، ويُسمح له بالحركة في زمان ومكان أكثر اتساعا من زمانها ومكانها. "[1]

فالراوي ليس هو الكاتب نفسه، وهذا ما هو معروف ولكنه من صناعة الكاتب . إن بين كاتب النص السردي وبين نصه مسافه وهذه المسافة هي الراوي، ولولا هذه المسافة لكان هذا النص مجرد نقل . فالمسافة هذه هي من تخلق روح النص وتبعده عن الواقعية المفرطة والمباشرة. إنّ النص وإن كان مأخوذا من الواقع فلا يجب أن يكون واقعا مجردا وحتى لا يكون كذلك فلا بدّ من هذه المسافة. وجود الراوي يُظهر أن السرد ليس مجرد نقل ميكانيكي للواقع، بل هو فن في اختيار الزوايا والرؤى. ولهذا فإنّ الراوي يلجأ لتقنيات سرد مختلفة، إن هذا الاختلاف يكون نتيجة قرب او بعد رؤية الراوي ، فمرة يكون قريبًا من الشخصيات، ومرة بعيدًا.[2]

بمعنى إنّ " هذا الراوي ليس المؤلف أو صورته ، بل هو موقع خيالي ومقالي يصنعه المؤلف داخل النص قد يتّفق مع موقف المؤلف نفسه وقد يختلف. وهو أكثر مرونة وأوسع مجالا من المؤلف؛ لأنه قد يتحدد في النص الواحد وقد يتنوع ويتطور حسب الصورة التي يقضيها العمل القصصي ذاته. "[3]

فالراوي لا يمثل المؤلف نفسه وليس صورة له فقد يعارضه أساسا، إنما هو خيالي من صنع المؤلف . ولا يلتزم نوعًا واحدًا بل يتعدد بتعدد الوظائف التي يقوم بها . فجاء على ثلاثة أنواع اول الامر "حسب التقسيم الذي وضعه الناقد الفرنسي جان بويون وهي: 1- الراوي المشارك ٢- الراوي الغائب .. العليم بكل شيء ٣- الراوي المتعدد. "[4]

ووفقًا تقسيم بويون حيث جعل الراوي المشارك أولهم، وهو الذي يشارك في الاحداث فيقص بعضها على أنّه شاهدها وشارك في صنعها ، وبعض الاحداث لم يشاهدها ولكنّها وصلت إليه عن طريق من شاهدها. [5]

فالراوي المشارك إذن يكون احد شخصيات العمل الأدبي ويشارك بصناعة الحدث أو إنّه يكون شاهدا فقط ، لكنّه بذلك لا يخرج من كونه مشاركا كما وضّح ذلك حميد لحمداني: " هو راوٍ ممثل داخل الحكي وهذا التمثيل له مستويات ، فإما أن يكون الراوي مجرد شاهد متتبع لمسار الحكي ، يتنقل ايضا عبر الأمكنة لكنه لا يشارك مع ذلك في الإحداث . وإما يكون شخصية رئيسية في القصة. "[6]

وعليه، فالراوي حين يكون أحد الشخصيات أو مشاهدا عن قرب لمسار الأحداث فهو عندئذ يتمكن من نقل تجربة شخصية، بمعنى إنّه يشارك بصناعة الحدث فيكون متوغلا بمجرياته ينقل للقارئ تجربة يعيشها هو أو أحد الشخصيات القريبة منه ، لينقل مشاعر حقيقية وصادقة حين يعيش هو التجربة ، ولكن لا تكون كذلك لو نقل تجربة لشخصية أخرى.

واستنادا لما تقدّم يمكن للباحثة القول: إن الراوي حين يكون مشاركا لكنه ينقل تجربة شخصية أخرى غير تجربته فإن بالأمرِ من الاجحاف للشخصية صاحبة التجربة ، فلن يكون الراوي حينها قادرا على نقل هذه التجربة بدقة كما لو أن صاحبها ينقلها بنفسه، وقد تكون هذه من المآخذ على الراوي المشارك _ في روايات وارد بدر تحديدا _ ؛ لأنّه وكما سنوضح في المباحث الآتية لهذا البحث لا يجعل الراوي هو نفسه صاحب التجربة بل دائما تُعطى هذه السلطة لشخصية أُخرى (ذكورية) على الأغلب . وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل في هذا البحث الذي قسمناه على ثلاثة مباحث واعتمدنا بهذا التقسيم على الجوانب الأساسية المشكِّلة للهوية (في روايات وارد بدر ذات الراوي

المشارك فقط) وهي ثلاثة ثلاثة جوانب شكّلت بمحصلتها النهائية الهوية الثقافية: الديني، السياسي، الجنسي.

إن تحديد هوية مجتمع أو جماعة ما أو فرد يقتضي العودة إلى جملة من العناصر المادية الفيزيائية، التاريخية، الثقافية، النفسية، الاجتماعية.[7]

وعلى هذا الاساس فالهوية يمكن تعريفها على أنّها " انسانية تتجاوز الحدود الجغرافية والعرفية واللغوية والثقافية. وتوجد قيم انسانية عامّة ، مثل: الحرية والعادات وافقت عليها الانسانية على مدار التاريخ مضمونها من داخلها، من الفكرةِ والطبيعة. "[8]

أي إنّ الهوية لا تحدد بمكان فكل المتكلمين بالعربية ينتمون إلى هويّة واحدة في أيّ مكانٍ كانوا.

والرّاوي هو من يحدّد هذا كلّه في النّص الأدبي؛ ولذا فهو يسهم بشكل فاعل بتشكيل الهوية الثقافية النّاتجة من مجموع هذه العناصر معاً في داخل أي نص أدبي لا سيما التي اخترناها كعيّنة لدراستنا هذه.

المبحث الاول

الجانب الديني ودوره في تشكيل الهوية الثقافية في روايات وارد بدر السالم.

ناقشت الكثير من الروايات الدين، فهو الفاعل الأكبر في المجتمعات، والذي يؤسس حدودها الأخلاقية ويحدد هويتها وانتماءاتها ومعتقداتها. كثيرا ما نوقش الدين في المجتمع في الروايات كثنائية مع العلمانية واقتراحها كبديل للدين.

والعلمانية هي: " مبدأ يقوم على انكار مرجعية الدين أو سلطانه في تنظيم شؤون الناس بعضها أو كلّها انطلاقا من مرجعية الانسان لإدراك الحقيقة والمنفعة الكامنتين في هذا العالم "[9]

وبالنسبة لروايات وارد بدر السالم فقد كانت كذلك _ تطرح العلمانية بديلا _ على الرغم من أنَّ هذا غير ممكن؛ لأن " الدين لا يمكن أن يُجتَثَّ نهائيا من حياة النّاس "[10]

وهذا ما سنوضحه برواية (الرجل المئوي) حيث تناول وارد بدر مسألة الدين والعلمانية من ناحية الانتظار وفكرة المنقذ المخلّص بتوجيهها نحو الخرافات ووصف الدين الذي تنتمي إليه (دين الخرافة) ويُظهر إنّ الدين لا يحتكم للعقل والمنطق، وهذا يشكّل ثقافة جمعية حيث تتبنى شريحة لا يُستهان بها فكرة الانتظار، ويقابلها هناك من يتبنى عقلنة الأمور، وترك الاحتكام للدين. إذن فهذه الهوية قائمة على الصراع الأزلي بين الدين والعلمانية والانخراط بالتقاليد والاحتكام للعقل .

تبدأ رواية الرجل المئوي بصوت الراوي (المشارك) وهو ينقل سؤال زوجته : "تساءلت زوجتي باستخفاف: هل هذا ممكن؟ "[11]

الراوي هنا مفرد يستخدم ضمير المتكلم. يشارك بمهرجان يقام في مدينتهم ويستدعون إليه رجل معمّر. زوجته _ زوجة الراوي _ تتحدث من باب العقل والمنطق فتناقض وجود هذا الرجل اساسا . أما هو (الراوي) غير متيقّن من انتظاره ولكنه ملتزم به ويعدّه تقليدًا تربّى عليه ومن الواجب البقاء على هذا الانتظار . يتأرجح بين أن يظل على ما هو عليه أو أن يؤمن بقناعات زوجته. " في غالب الاحيان يعتريني شعور من أن هذه واجبات دينية تشكّلت في اعماقي الاجتماعية اوليها اهتمامي ووقتي. غير أن زوجتي ترى أن هذا هدر للزمن والوقت وتعذيب للذات لا ينتهي، إنّها محقّة بعض الشيء تفسر الحالات التي أمرّ بها على أنّها سلوك موروث وعليّ أن اتخلص من الجزء الاعظم منه، اوافقها الى حدٍ ما . "[12]

الراوي لا يدافع عن أفكاره ولا يؤمن بها ، فقط يتبعها كعادات جُبل عليها. يرى أن منطق زوجته هو الأصح ، فيخبرنا إن الدين موروث نتعاطاه كتقاليد اعتدنا عليها في حين إنه يرى في العلم تفسيرات منطقية لا يجدها بالدين.

قد يُحاول الراوي أن يُظهر لنا بأنه محايدا ولا يتبنى موقفا ضد آخر لكنّه في الحقيقة يعمل على تحديد وجهة القارئ بطرق غير مباشرة نحو العلمانية وهو الصراع الذي ينقله، ويمثل هذا الراوي جانب الدين فظهر ساذجا متردداً على الرغم من أنه شخصية حقيقية ومشاركة بصناعة الاحداث لكنه جعل نفسه على الهامش كشخصية ثانوية؛ وعليه فهو يشكل هوية دينية مفككة ويدعو لبديل عنها. يتمثل هذا البديل بالعلمانية التي تمثلها الزوجة . وقد يكون اختيار شخصية انثوية كالزوجة لتمثيل العلمانية؛ لكسر النمطية أو نوع من التحدي كون الزوجان ينحدران من بيئة واحدة قروية متزمتة، وفي مثل هذه البيئات يُقمع صوت المرأة ومن النادر أن تشُذّ امرأة في مثل هكذا نمط حياتي، وإن حدث فيعدّ تحديا، وهنا قد يكون وجه الشبه بينها وبين العلمانية التي تعد ايضا تحدياً.

" ثمة أفكار قديمة لا تزول من رأسي أنقاد إليها بسهولة لأشعر بأنني مؤتمن على وصايا المجتمع الريفي الذي عشته، ولا يمكن لي أن اتجاوزه أو أن اخرقه. اخاف الضياع والتشتت"[13]

وهنا يظهر الراوي هذا التحدي بقوله: (لا يمكنني ان اتجاوزه.) في حين إنه رجل فكيف لو كان من يخرج على نمطية هذا المجتمع، امرأة ؟!

طرح الراوي الدين من خلال فكرة المنقذ والمنتَظَر من قبل الناس، ويرمز بها للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) . لكنه وظف هذا الرمز بسخرية مفرغا من قداسته، وجعل الانتظار خرافة شعبية لا تعدو كونها أكثر من عادات وتقاليد موروثة ، وجعله السبب الاول للانقسامات والجهل وضياع الهوية.

وعلى الرغم مما تناوله الراوي حول تحويل الانتظار من فكرة مقدسة إلى خرافة لا تتحقق فقد كان القرآن الكريم قد أثبتها وإن لا بد من حدوثها .

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [14]

وقيل في تفسير هذه الآية: " عن ابن عباس في رواية أخرى. وقال ابو جعفر (عليه السلام) هم اصحاب المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان . ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه قال: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد ، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من أهل بيتي يملأ الارض عدلا وقسطا كما مُلِئت ظلما وحوراً"[15]

وهذا يعزز حقيقة الظهور والنتيجة النهائية الحتمية لهذا الانتظار المقدس بعكس النتيجة النهائية التي أدركها الراوي في نهاية المهرجان، وكانت عدم مجيئه.

" الناس يموتون في الشوارع ولمّا يأتِ "[16]

لم تكن فكرة الانتظار وحدها محط سخرية الراوي، بل أي مظهر من مظاهر الدين كان يدعوه للسخرية؛ لذا فقد ابدا استياءه الواضح والصريح من الحجاب وربط فرضه بالانتظار، إشارةً منه إلى أن كل هذا خرافة وجهل، لقد عدّ الراوي الانتظار خرافة ثم وجه نقدة المباشر للحجاب .

" مذيعة الفضائية التي اغرقت وجهها بحجاب شدّته على وجهها التعيس" [17]

" نساء مقمطات بعباءات سود" [18]

" تخفق العباءات السود على اجساد النساء المترهلة"[19]

في مهرجان الانتظار الذي يشارك فيه الراوي كان يلقي بنظره متجولا بالمكان وما إنْ يشاهد سيدة محجبة حتى يذكر حجابها، ويتبع هذا الذكر بوصف بائس تعيس مترهل .. الخ. فيخلط ما بين مسألة المخلّص وانتظاره وفروض الدّين الأخرى ، إنّها مغالطة كبيرة فالحجاب فرض ديني ولو لم يكن هناك منتَظَر فالحجاب سيكون ايضا ، لكن نقد الراوي هنا دليل واضح على أنّه يضع الدين كله في خانة الاتهام بتجهيل الشعوب، لا جزئية واحدة منه فقط_ الانتظار _ لأن العولمة أساسا تتميز بالثقافة المادة فتفرغ المجتمع من اخلاقه وسموّه فهي مشروع غير أخلاقي ، وبهذا فهي تؤثر سلبا على هوية الشعوب الثقافية والاجتماعية. [20]

" فلا معنى للحجاب والعفة والحياء والحشمة في نظر العلمانيين فهذه مفاهيم ارتبطت بتأريخها وبيئتها وكانت تعتبر تقدما ورقيا في زمانها أما الان فالأمور تغيرت وتبدلت وشرائع الاسلام واحكامه بل وعقائده كانت مرتبطة بواقع تأريخي معين؛ وبالتالي يجب تجاوزها واحلال النظم الغربية معها لأنها الاقدر على التعبير عن هموم العصر وملابساته"[21]

وتجدر الإشارة هنا ايضا إلى مسألة مهمة وهي: السياسة، كون العلمانية ترتبط بها لأنها " تشدد على أنَّ بناء المدينة يجب أن يقوم على العقل؛ وبالتالي ليس على الاديان التي تتخذ الايمان عمادا لها (الايمان الفردي بوجه خاص) والتي ليس من المفترض أن تؤسس للحياة الجماعية"[22]

بمعنى أنَّ دين الفرد هو شأن متعلق به ويجب أن لا يؤثر هذا الدين بالسياسة، وهذا الاساس الذي تقوم عليه العلمانية، بفصل الدين عن الحكم . وهذا ما ناقشه الراوي وربطه بالمنقذ كونه سيحكم بالقرآن والسنة ولا يخرج عن اطار الدين . فجعل فكرة الانتظار في اصلها مخططاً سياسياً يستخدم لتجهيل الشعوب؛ لهذا وجّهت العلمانية بأن الدين الفردي لمن يتولى الشأن السياسي لا يمكن تعميمه على الجماعة، وهذا هو توجيه الراوي ايضا. فقد اتّفقت ميوله مع توجيهات العلمانية لذا فقد كان غير محايد .

وهذا لا يعني أنَّ السياسة لا تتدخل بالدين ولا توجّه انظار الأفراد وأفكارهم نحو ما تريده عن طريق الولوج في دينهم ومعتقداتهم للتأثير عليهم كون الدّين مقدساً عندهم، وبالتالي فهم ينصاعون إليه؛ وهذا ما نجده اليوم من صراعات وانقسامات خُلقت نتيجة تحريك هؤلاء الأفراد فكرياً عن طريق معتقداتهم. لكن الامر ليس كما هو عليه عند العلمانيين أو حتى عند الرّاوي (شبه العلماني) حيث تُخلط عندهم الأمور. نعم، هناك تدخل سياسي

ببعض الافكار الدينية والتي من خلالها يحركون الجماهير بما يريدون، ولكن السياسة لا تخلق معتقدا دينيا من العدم وتطرحه كمقدس بين هؤلاء الجماهير. بمعنى هم لا يخلقون فكرة بل يوجهون فكرة موجودة من الأساس.

وعليه فالمنتظر وفكرة الانتظار ليست خرافة لكنّها قد توجّه سياسيا للسيطرة على الأفراد وتحريك مشاعرهم نحو امرٍ ما من وراءه مصلحة ما.

"إنَّ الهَّويُة المَّسيسة هي ذات بعد ظرفي غير ثابت، بل تتغير بفعل التأثيرِ السّياسي المذهبي الطائفي للجماعة ، وخاصة يعطي لبنية المَّجتمع طابعا من الهشاشةَّ والرّخاوة والدَّيناميكية التي لا ثبات لها لتتفاعل مع المؤثر السّياسي وفي واقع الامر أَنَّ الايدولوجيّة السّياسيّة الدَّينيَّة المذهبية تؤثر على وحدة الجماعة وإعادة بنائِها أَو تمزيقها،َّفهي تعمل على توظيف النَّزعة الطائفيَّة المذهبيّة الدَّينية من أَجل إحكام سيطرته على تلك الجماعة، فهو أَشبه بضخ فكري سياسي في عقول الجماعة بالعنصرية القوميّة الدَّينية الَّتي تنفي الآخر لكي توحد صفوفها لصالحه بعد العام 2003م"[23]

ولا مناص من القول بأَنَّ نتيجة الصراع الذي أداره الراوي انتهت بانتصار نبوءات العلمانية أو أفكارها حين انتهى المهرجان بعدم مجيء (الرجل المئوي)وبحوار ختامي عميق فيه من التساؤلات ما لا يُطلب له جوابا ، قد تكون فلسفة قصدها الراوي عبّر عنها بسؤال حتمي لا بد وإن القارئ سيسأله:

" الزوجة: إنهم يخربون المدينة من أجل رجل لا يظهر.

الراوي: أتكذبين الوزير؟

الزوجة: هذا أول الكذابين وليس آخرهم .. إنّه من رعاع المصادفات السياسية، رجل انتخابات مزمن"[24]

كان الراوي هنا فلسفيا بنقل كلام الزوجة يطرح تساؤلا لا لغرض الإجابة، بل لتوجيهه بقصد غير مباشر للقارئ وكأن الراوي يُشرك القارئ معهما بالأمر ويطلب منه التفكير به بمعنى إعادة توجيه تفكير القارئ نحو مسألة الانتظار وزعزعة ثوابته

وخلاصة القول أن الراوي المشارك في هذه الرواية قد لعب دورا هاما في تشكيل الهوية الثقافية فظهر كممثل للتديّن الممزوج بالشكوك والتردد كما أظهر الزوجة كناقدة متعقلة متزنة وكان هذا يجعله متأرجحا نحو افكاره ضائعا بين هويتين وبناءً على ذلك فقد اظهر تناقضا بين التدين التقليدي والنزوع الخائف لترك هذا التقليد وعليه فقد تشكلت هوية ثقافية متزعزعة مفككة تجعل من المسلّمات محرد ممارسات وخرافات لا بد من ايجاد البديل العلمي لها .

تأرجحت لغته بين الشك واليقين والتردد فكان محايدا مرة ومتحيزا في مرات كثيرة رصد الراوي احداثه في زمن غير محدد ورمزي لكنّه غير متسلسل تخلله استباق روى من خلاله الراوي نهاية الاحداث ثم عاد لإكمال الاحداث التي تسبق النّهاية. فاستخدم الاستباق الزمني حين كان في المهرجان وطال وقت الانتظار وقبل النهاية أخبرنا بالنهاية ثم بعدها عاد ليكمل مهرجان الانتظار ويفصل القول فيه.

قد يكون عمد إلى هذا الاستباق كرمز للضجر أو الملل وكأنّه يخبرنا ان الانتظار الطويل للقارئ حتى يصل للنهاية ليعرف ما آل اليه الامر هو أمرٌ مقلق لذا وجب أن يكون هناك استباق يهدأ من هذا القلق ويخلق نوعا من الطمأنينة ليكمل ما بقي بارتياح نفسي بعيدا عن ضغوطات القلق والتفكير.

"سأستبق تسلسل هذا الحدث وأقول بأن الاحتفالية المزعومة كانت مروّعة وتعيسة جداً. خطأ ما جرى في الزمن الخطأ؛ زمن المدينة، أو زمن القدر الذي لا نعرفه. نعتقد جميعاً أن وهماً ما فاجأنا، أو لحظة مخفية خرجت من دون إرادة أحد. وزوجتي ربما كانت محقة في بعض التفاصيل، ونظرتها إلى الزمن غير نظرتي الخرافية إليه."[25]

" أقول لكم النهاية الواقعية بشكل صادم، لكن هذا ما حدث. صوتٌ غريب اقتحمنا من النهاية الموجعة، وبدّد في دواخلنا آمالاً قد تكون عميقة بأن نبقى أبديين في القوس المنحني للحياة الشاقة. لكن هذا ما حدث، وأعتقد بأنه سيحدث دائماً أمام فكرة أمل البقاء."[26]

"فكل استباق يدل على تسريع سردي يحدث نوعا من الانتظار في ذهن القارئ، ويزول الانتظار بمجرد تحقق الإعلان في وقت لاحق في مدى قصير."[27]

فإنه هنا _ أي الراوي _ قد عمد إلى ذكر النّهاية، وقطع تسلسل الأحداث ثم بعد ذلك عاد ليُكمل ما توقّف عنده قبل هذا الاستباق الزمني.

وما يمكن أن يشغل أي قارئ هنا، هو : إنّ الراوي كان مشاركا وقد تطرّقنا للراوي المشارك في الفصل الاول وهو الذي يشارك أو يشاهد الحدث بمعنى أنه موجود داخل النص الروائي قد يشارك بصناعة الحدث وقد يكون مشاهدا فقط . أن يشارك الراوي ويكون احد شخصيات الرواية فإنه سيكون

داخل الحدث يروي ما يشاهده أمامه وما يشارك به. هو ليس (عليما) ليكون كلّي المعرفة فيعلم ما ستنتهي إليه مصائر الشخصيات أو ما في بواطنها وما تتحدث به سرا لنفسها، لا يعلم إلا ما يرى ويسمع فلا يدرك خاتمة الامور، فكيف له إذن أن يستبق الحدث ويخبرنا بالنهاية قبل وقوعها !! ولو قلنا أن الراوي يتحدث في زمن لاحق لزمن القص فبذلك سيكون الخطاب عبارة عن ذكريات انتهت يسردها الراوي الآن في هذا الزمن؛ وبالتالي سيكون هذا استرجاعا لا استباقا، لكنّه لم يصرح بأنه يروي ذكرى قديمة بل كانت الأحداث تسير بزمن خطي مستقيم متسلسل زمن الحاضر ثم يصطدم خط الزمن هذا بلحظة استباق يصنعها الراوي حتى إنّه يعنونها بالاستباق؛ فيقول : " سأستبق الأحداث ... " اذن كل شيء يشير إلى أنّه استباق.

ولو علمنا بأن التنبؤ نوع من أنواع الاستباق فقد نظنّ بأنّه مجرد تنبؤ ولكنّ الراوي يؤكد جازما بهذه النهاية، أنّه تيقّن من حدوثها بمعنى أنها حدثت وانتهت فحدث المفارقة هنا، كيف لراوٍ مشارك يروي من الزمن الحاضر أن يخبرنا باستباق زمني لنهاية محققة؟ لكن قد يكون الاستباق هنا رمزياً، رمز لحقيقة مؤكدة في نفس الراوي بأن الامر محسوم عنده أساسا قبل أن يبدأ والنهاية معروفة ومؤكدة كأنه يريد أن ينقل أفكار زوجته التي يؤمن بها هو كاستباق؛ وهذا اصلا ما اتضح منذ البداية حين قلنا إنه بدا محايدا (نسبيا) وحاول أن يبدو محايدا لكنّه بطريقة أو بأخرى استخدم طرفي الصراع كطرف واحد.

وقد يكون هذا استشرافا بمعنى: "التطلع لكل ما هو متوقّع".28 لكن ليس بالضرورة أن يحدث هذا الاستشراف.

المبحث الثاني

الجانب السياسي ودوره في تشكيل الهوية الثقافية في روايات وارد بدر السالم

الرواية السياسية: "تلك الرواية التي تنصب على مناقشة الأفكار السياسية وبرامج الأحزاب النظرية والعملية، وتحديد تصورات المذاهب السياسية وتبيان مواطن اختلافها وتشابهها، مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم و العامل مع أرباب وسائل الإنتاج، واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي وما يستتبعهما من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمواطنين والمناضلين في الزنازين وسجون التعذيب والتطهير"[29]

تعدّ السياسة من الاولويات في أي مجتمع ولهذا فقد شاع وانتشر هذا النوع من الروايات السياسية؛ لأن الرواية وكما يقول د. طه وادي" ديوان العرب في العصر الحديث"[30]

ومن الممكن أن نطلق على هذا الأدب، الأدب السياسي، الذي يعرف بأنّه " الأدب الذي يشتبك مع القضايا السياسية التي تهتم بالحالة العامة في أي مجتمع كقضايا الحرية وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية. ويكون ذلك من خلال معالجة ادبية لهذه القضايا من خلال اطار اجتماعي وعلى لسان الشخصيات التي تظهر في العمل الأدبي سواء كان هذا العمل في شكل قصصي أو في شكل شعر أو في رواية. "[31]

إن هذا الأدب المعروف بالأدب السياسي قد بدأ مع فترات الاستعمار العثماني والانكليزي والفرنسي وكذلك الاسرائيلي للوطن للعربي حيث لاحظناه في فترة الستينات في أدب الحداثة وما بعد الحداثة، لكن كل ما كُتب في هذه الفترة كان يلتزم الحياد والتلميح والرمز ويمكن من خلال هذا وصف الأديب على أنّه جل سياسي ولكن بطريقته وادواته الخاصة. [32]

وكثيرا ما يكون الراوي في هذه الروايات مشاركاً" فحتى يؤكد المؤلف أنّه يعبر عن وجهة نظر خاصة في هذه القضية السياسية، فإنّه يجعل الراوي/البطل .. أو الراوي المشارك ينفرد بسرد أحداث الرواية. "[33]

ونجد هذا في رواية (صباغو احذية الوطن) لوارد بدر السالم وهي رواية سياسية تدور أحداثها حول حرية الرأي والتعبير وما يقابله من قمع السلطة، تعيّن رجل مخابرات بمهمة سرية وهي (التجسس) على رجل يدير المظاهرات ويحرك الرأي العام ضد هذه السلطة اسمه(ليث العربي) وهو استاذ علم نفس مستقيل.

الراوي مشارك وهو رجل المهمة السرية نفسه افتُتحت الرواية بصوته، وهو يتحدث لنفسه وعن طريق هذا الحديث اوجز بوصف بعض الشخصيات :

" لا تعرف ندى إنَّ يومي هذا كان يوما مهما بلقاء الرفيق الأشقر، لن أخبرها بشيء سوى أن اقول لها أنّه تم توظيفي على ملاك الوزارة فهذا يبعدني عن تفصيلات كثيرة اجد من الصعوبة اخبارها بها كما جرت مع الرفيق الاشقر ذي الباع الطويل في مهنته السّرية بغطاء الدبلوماسي المخضرم"[34]

قد استخدم الراوي ضمير المتكلم وهو راوٍ مفرد تولى السرد بصوت واحد (صوته) .

إنّ وجود راوٍ مشارك بنصٍ يعالج موضوعا سياسيا يضيف لهذا النص قدرا كبيرا من الواقعية والصدق كونه ينصهر مع شريحة السلطة، ويدخل مؤسساتها، ويشاهد ما يُحاك فيها وما يتم خلف كواليسها، مشاركا فيها. في الحقيقة كان الراوي حياديا جدا لا ينحاز إلى أي جهة على حساب الأخرى ما أسهم بخلق هذه الحيادية هو أنّه شارك الطرفين وتعايش معهم (السلطة) و (الشعب المنتفض) فكان مخلصا لعمله ولمسؤوله ومتفهما للشعب فلم يتخذ جانب السلطة على الرغم من أنّه منها وكذلك مع الشعب والثورة لكنّه ظل يشاهد الاثنين على مقربة كبيرة ويحكّم عقله لترجيح ما تختاره روحه ونفسه في النّهاية؛ ليكون هو الحق بنظره.

لم يوجّه القارئ نحو أحد وما ميّزه أنّه يرصد سلبيات وايجابيات كلّ من السلطة والشعب ليترك للقارئ ولنفسه الحرية والتأمل والاختيار بقناعة .

يركز الراوي على نوعين من الصراعات، الاول هو صراع فردي في داخل رجل الأمن وهو صراع نفسي. والآخر جمعي . فطرح الراوي بصراعه الاول(النفسي) أفكاره بطريقة نفسية فلسفية ومدّه بهذه الفلسفة الشخصية التي يراقبها، استاذ علم النفس المستقيل . إن هذين الصراعين اظهرا الهوية السياسية للمجتمع وهي متأرجحة يُمارس عليها التكميم والقمع وهو ما عرضه الراوي .

" إنْ القنابل المتفجرة والدخانيات والصوتيات ورصاص القنص لم ينل منه" [35]

"الذين اعتقلناهم في تلك التظاهرات ومنهم قياديون من الخط الثاني استنكروا أن يكون لهم قيادي بهذا الاسم " [36]

كان الراوي هنا مثل كاميرات المراقبة يرصد الاحداث والشخصيات باستمرار وبطريقة مباشرة يجلس بالمقهى لساعات يراقب ثم يتّبع الشخصية اينما تذهب؛ لأنّ الرواية تتبع اسلوب التقارير حيث كان الشاب يكتب التقارير اليومية للمؤسسة عن كل التفاصيل التي يشاهدها؛ وبهذا فهو يرسم صورة متكاملة للقارئ عن كل التّحركات التي يشاهدها أو يشارك بها بكل تفاصيلها.

ويتداخل احيانا مع الشخصيات ليطرح أفكاره ويستمع لأفكارهم فيُظهر كل الأفكار بحيادية تامّة .

قد كانت السلطة السياسية تمثل سطلة عُليا تفرض سيطرتها على كل شيء وكل مفاصل الدولة كالصحافة والدين والثقافة ... الخ. وتملي على الشعب حتى طريقة كلامه واسلوبه وما يقوله وما لا يقوله. توجّه كل شيء نحو ما يخدم مصالحها وتقرر ما لا يُعرض وما يُعرض وما يُعرض بالطريقة التي تُريد. فقد تتحكم بالإعلام وتُظهره بما يخدم صورتها(تسييس الاعلام) فيوضح لنا الراوي المشارك في هذه السلطة والمشاهد لخيوطها الصغيرة التي تنسج كل شيء بإتقان ولهذا فهو يستطيع أن ينقل إلينا بكل ثقة هذه الأسرار لأنها تقع أمامه .

فالإعلام من اهم الوسائل السياسية وهما مرتبطان معا، فلا توجد سياسة من غير إعلام ولا إعلام بلا سياسة فالعلاقة بينهما متغيرة لأنّ أي تغيير ممكن أن يحدث في السياسة يكون له اثر على الاعلام ولو حدث أي تغيير اعلامي ؛ فإنه يؤثر على السياسة وبمجالاتها المختلفة. [37]

وكان ذلك واضحا في الرواية اظهره الراوي بصدق لأنه كما أسلفنا يعرف ما يدار عن قرب ويشاهد كيف أنّهم يختارون بعض المذيعات كمتعاونات مع السلطة من اجل مهمة معينة تطلب منهن، فيتم اختيارها وفقًا لمواصفات عالية لا من حيث الكفاءة والثقافة بل من حيث الجمال والإغراء والتأثير بالمتلقين بصريا بما تحمله من جمال وأنوثة تشدّ المستمع وتثيره حتى إنّهم يختارون من يظهر معها بلقاءاتها وماذا يقول فيبدو الأمر كأنّه عفوي طبيعي لكنّه في الحقيقة مخطط له.

" تحولت وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وبشكل خاص بعد الحراك الثوري أو الصراع الداخلي ذي الابعاد الاقليمية إلى آلية مركزية يستخدمها غالبية الفاعلين سواء دول أو مليشيات مسلحة أو تنظيمات ارهابية بما يعبر عن رؤيتها ويخدم أفكارها ويروج لأهدافها على نحوٍ يقود في التحليل الأخير إلى توسيع القاعدة المؤيدة إلى مالك أو ممول هذه الوسيلة الإعلامية. "[38]

"أوضحت لي الشفرة اللاتينية المرسلة أول الصباح أن فريقا تلفزيونيا من قبل المؤسسة سيجري لقاءات مع المواطنات والمواطنين في المقهى وسيكون اختيار المدعو ليث العربي عشوائيا، لكنّه مبرمج من قبل مذيعة جديدة ستلفت الأنظار الى جمالها وطريقة ارتدائها لملبسها"[39]

كان الراوي حياديا كما ذكرنا قدم لنا صوراً كاملة عن الشخصيات بكل ما فيها وبوضوح تام كشخصية (ليث العربي) حيث أظهر لنا ذكاء الشخصية ودهاءها وأفكارها ولم يُخفِ اعجابه بها على الرغم من أنّه مع طرف الصراع الآخر وليسا بنفس الطرف.

"غمرني شعور بالضعف وانا استمع الى هذا الخطيب غير العاقل خطيب المناسبات التي يرى أنها توصل صوته الى من يعنيه الأمر لهذا لامستني قناعة مزدوجة بأنّ هذا الرجل سرا غير مفهوم. إنّه شجاع وجريء ومعقول ايضا"[40]

فـي هـذا الـنص والنصـوص السـابقة اعتمـد الـراوي جمـلا طويلـة فلسـفية تحمـل طابعـا وطنيـا وحماسـيا؛ ليخـدم بـذلك نصـه السـردي القـائم علـى فكـرة الوطنيـة والثـورة وفلسـفة الخـوف والسـكوت بمـا يقابلها من قمع وظلم.

وانطلاقـا ممـا سـبق يمكـن القـول إنّ الـراوي المشـارك فـي هـذا الـنص لـيس مجـرد ناقـل للأحـداث بـل شـاهد علـى اسـتخدام السـلطة للأجهـزة الأمنيـة والإعلاميـة لتوجيـه رأي العامـة كيفمـا تشـاء السياسـية مـن خـلال التجربـة الخاصـة للـراوي وانتقالـه مـن رجـل أمـن يعمـل لصـالح الدولـة إلـى معـارض لهـا ، وعليـه فقد تشـكلت هويـة ثقافيـة سياسـية ناقـدة تفضـح أسـاليب القمـع والتزييـف التـي تمارسـها السـلطة. فـالراوي هنـا أسـهم عبـر موقعـه كشـخص مـن داخـل النظـام بكشـف تناقضـات الدولـة بـزمن خطـي متسلسـل، بدايـة وسـط نهايـة يصـوّر حاضـر الشـعب . بخطـاب مباشـر واضـح واقعـي وتقريـري. تخلـل الزمـان اسـترجاع فقـط فـي بدايـة الروايـة حـين قـام المسـؤول باسـترجاع ماضـي (ليـث العربـي)؛ ليشـكل خلفيـة معلومـات حـول هـذه الشخصـية لتـتم مراقبتـه فـالراوي اراد بهـذا ان يخلـق فكـرة لـدى القـارئ خـول شخصـياته، إضـافة إلـى أنّـه يريد أن يصدر للقارئ صورة معينة عن الشخصية؛ ليتفاجأ فيما بعد بنهاية مغايرة.

فشـكّل هويـة جمعيـة وطنيـة مقموعـة لـذا فقـد جـاءت الهويـة الثقافيـة الناتجـة عنهـا مفككـة كونـه أظهـر تفكـك الإعـلام وهـو رمـز للثقافـة وكـذلك قـام بتصـوير تهمـيش الشخصـيات المهمـة وإهانتهـا مثل(ليـث العربـي) الاسـتاذ الجـامعي وإظهـار شخصـيات تشـوّه صـورة الدّولـة، وتظهـر سـطحيتها ودنـاءة مسـتواها، وجعلهـا بالواجهـة مثل(المذيعـة) إضـافة للقمـع وكـتم الصـوت واخفـاء الصـورة الحقيقيـة للواقـع مثـل طـرد الشـحاذين وصـباغي الأحذيـة مـن أمـام الكـاميرا، وتلقـين المـواطنين مـا يقولـون . وفـرض السـلطة علـى الشعب بالإكراه، وإن السلطة لا تُعارض مهما كانت سطوتها أو ظلمها.

" اسـتبعد المخـرج بعـض الشـحاذين وصـباغي الاحذيـة الـذين كـانوا يـودّون أن يبتسـموا للـوطن عبر عدسة التلفزيون"[41]

المبحث الثالث

الجانب الجنسي ودوره في تشكيل الهوية الثقافية في روايات وارد بدر السالم

"لقـد أثـرت الحضـارة المادّيـة الحديثـة علـى مفهـوم الجـنس فلـم يعـد مفهـوم وتعريـف الجـنس مقتصـرا علـى تلـك الأوامـر المقدسـة والعلاقـة الزوجيـة الشـرعية بـين الرجـل والمـرأة ولا حتـى بـين أي علاقـة أُخـرى بـين الرجـل والمـرأة خـارج ربـاط الزوجيـة بـل تعـداه ليشـمل كـل مـا انتجتـه واسـتخدمته الحضارة المادية الحديثة . "[42]

وهـو مـرتبط ارتباطـا وثيقـا بعلـم الـنفس لمـا لـه مـن آثـار نفسـية؛ لأنّ اضـطرابه يفقـد الانسـان هويتـه، يجعلـه شـاذا .وحـين تناولتـه الروايـات لـم تفصـله عـن الحـالات والاضـطرابات النفسـية، وهـذا مـا فعلـه وارد بـدر السـالم فـي رواياتـه المغرقـة بهـذا الجانـب . إن الروايـات لا سـيما العربيـة ناقشـت هـذه الموضـوعات بجـرأة كبيـرة وكلمـات صـريحة بـلا رمـز أو تلمـيح، وعلـى حسـب الحاجـة لاسـتخدامه ولمـا يخدم النص السردي.

" هنـاك مـن يسـتخدمون الجـنس موظفًـا فنيًـا لإبـراز درجـات القهـر الاجتمـاعي الـذي تعانيـه المـرأة، أو لإبـراز درجـات الكبـت الجنسـي والضـغوط التـي يعنيهـا الشـاب، فـي ظـل تـدهور الأوضـاع الاجتماعية والاقتصادية."[43]

ثـم فيمـا بعـد انتقلـت مـن التلميـح إلـى التصـريح حيـث تجـاوزت بعـض الشـيء أحـد المحرمـات فـي المجتمـع العربـي المحـافظ وفـي فتـرة الحداثـة ومـا بعـد الحداثـة عمـدوا إلـى وصـف الجـنس بجـرأة اكبـر انتهكت حرمة الموروث الحكائي العربي في مقاربة الجنس. [44]

وفـي هـذا الاطـار نسـتعرض رواية(شـظية فـي مكـان حسـاس) لـوارد بـدر. والـراوي فيهـا مشـارك وقـد عـالج الموضـوع مـن زاويـة شـرقية جـدا، فـالراوي المشـارك هنـا هـو لـيس الشخصـية صـاحبة الأزمـة، بـل زوجهـا؛ وهـذا مـا تحـدثنا عنـه فـي البدايـة حـين ذكرنـا إن الـراوي احيانـا لا يصـل لعمـق المعانـاة الحقيقيـة للشخصية، لو لم يكن هو نفسه صاحب المعاناة، غير أنّ الأزمة تتعلق بالهوية الأُنثوية تمثلها الزوجة .

يـرى الروائـي وارد بـدر السـالم فـي هـذا الأمـر عدالـة؛ لأنـه سيوصـل معاناتهـا بحريـة اكثـر منهـا لو كانت هي نفسها الراوي:" لأنّ المرأة لا يمكنها التحدث بتلك الجرأة التي يتمتع بها الرجل . "[45] .

وهـذه وجهـة نظـر خاصـة بالكاتـب لكننـا لـم نتفـق معـه، لـو تعلـق الأمـر بأزمـة نسـائية تتصـل بهويتهـا الأُنثويـة فلـن تنقـل بالحقيقـة المطلقـة بوسـاطة رجـل بسـبب تعـالي اللغـة الذكوريـة فـي الـنص والتـي تبعده عن الحيادية.

تفتتح الرواية بكلام الراوي (الزوج) وهو يتحدث مع ابنته

" منذ متى وأمكِ ترقص؟ "[46]

ثـم يصـف المكـان وحالـة الزوجـة : "موسـيقى الغرفـة الصـاخبة تشـتت انتباههـا علـى مـا حولهـا كمـا فـي كـل يـوم. ذلـك الصـخب الـذي ينشـر معـه رائحـة نـور فـي الصـالة يجعلهـا قلقـة. لا يسـتقر رأسـها علـى فكـرة واحـدة لـذا تقضـم أظافرهـا مـن دون أن تشـعر، غيـر أنّ وجـودي فـي البيـت يضـفي عليهـا الكثيـر مـن الهدوء والطمأنينة فتترك عادة قضم الاظافر فتستكين وتهدأ"[47]

تظهـر الهويـة بوضـوح فـي هـذه الروايـة إلـى جانـب الهويـة النفسـية إذ أنّهمـا متلازمـان، وهـذا مـا سـنلاحظه، كيـف أنَّ اهتـزاز الهويـة الجنسـية يـؤدي إلـى تـدهور الهويـة النفسـية ؛ ويـؤدي إلـى أزمـة تعيشـها الشخصـيات . فالصـراع هنـا بـين طـرفين الزوجـة تحـاول اثبـات هويتهـا الضـائعة والـزوج يحـاول أن يظـل متوازنا نفسيا بين تقاليده الشرقية وبين أزمة الزوجة.

يبـدأ الأمـر حـين تنفجـر سـيارة مفخخـة فـي بغـداد وتصـاب الزوجـة بشـظايا متعـددة فـي جسـمها ومنطقـة خاصـة منهـا فتُعـالج مـن كـل الشـظايا إلا تلـك فتُحـدث مسـافة بـين الـزوجين؛ وهـذا الـذي يخلـق لـديها صـراعا تثبـت فيـه هويتهـا الأُنثويـة، فتـرقص كمـا يفتـتح الـراوي سـرده بفعلهـا هـذا كمقدمـة رمزيـة نفسـية وليـدة ازمـة وليـس فعـلاً ناتجـاً عـن لحظـة فـرح عفويـة . فهـي بصـراع نفسـي دائـم يجعلهـا خائفـة باسـتمرار، وعليه فالراوي يعمد للتكرار في الكثير من الأحيان.

- " خائفة. "[48]
- " ما زلت خائفة ... "[49]
- " أخاف أن لا تكون معي"[50]
- " ادخلني ... أنا خائفة "[51]
- " أنا خائفة "[52]
- " خائفة من كل شيء "[53]

وهذا التكرار مجهول للراوي لذا فيقابله باستنكار وتساؤل:

- " لم أفهم ما تعنيه كلمتها الضعيفة ... "[54]
- " من شنو أنت خائفة؟. تكتبين لي بأنّك خائفة. لا شيء يدعو للخوف. "[55]
- " انتبهت إلى هذا الخوف المتكرر في حديثها معي ولم أشأ ان اسألها "[56]
- " صـحت بعصـبية ولـم أسـتطع ضـبط لسـاني: الخـوف ... الخـوف الـوهمي الـذي تكررينـه ... مـا الذي يخيفك؟ "[57]

وهـذا هـو اصـل الصـراع القـائم بينهمـا، نفسـي، اجتمـاعي ،ويحـرك هـذا كلّـه الأثـر الجنسـي المـرتبط بهمـا. خوفهـا مـن ان تفقـد هويتهـا الأنثويـة، فتظهـر لـه رغباتهـا الجنسـية المتزايـدة والمتكـررة باسـتمرار وعلـى عكـس مـا كانـت عليـه. تظهـر انوثتهـا بـالرقص او التّـزين تعـدّه حـبلا يوصـل بينهـا وبـين انوثتهـا التـي تخـاف أن تفقـدها (وهـذا أسـاس خوفهـا) فتتخلـى عـن خجلهـا معـه وتبـدي رغباتهـا بجـرأة مبالغـة ، إنّهـا تلجـأ لكـل هـذا كحالـة نفسـية تـدفعها لهـذه التصـرفات لتثبـت لـه وجودهـا ومـن أنّهـا لا تـزال انثـى كمـا كانـت، يـدفعها القلـق والخـوف، وهـذا مـا يمكـن تعريفـه" بأنـه اضـطراب مـزمن يتميـز بخـوف مفـرط وغيـر مبـرر مـن الإحـراج والهـوان فـي المواقـف الاجتماعيـة؛ ممـا يـؤدي إلـى ضـيق شـديد وعـدم القـدرة على أداء الوظائف اليومية. "[58]

وهـذا مـا يرصـده لنـا الـراوي حـين يقـول : " شـحبت كثيـراً وأهملـت نفسـها واسـتولت عليهـا الكآبـة بشكل فضيع "[59]

يشـير الـراوي هنـا إلـى قناعتـه غيـر المؤكـدة بعلـم الـنفس والعلاجـات النفسـية، فهـو كـأي احـد لا يـؤمن بهـذا العلـم لكنّـه يلجـأ إليـه مبـدئيا وحـين تكـون النتـائج غيـر مرضـية لـه فـلا يتـردد بـاللجوء لمـا يريـده هو منذ البداية (الختان). وما العلاج النفسي إلا وسيلة إقناع نفسية.

أشارت له الطبيبة النفسية: " بعض علاجها النفسي أن تفهم مشكلتها أنت "[60]

وما كان منه إلا تجنّب هذا :"علم النفس يفشل في علاجك، الجراحة هي الحل "[61]

ويلجـأ للجراحـة، وبهـذا فإنهـا فقـدت هويتهـا الأنثويـة التـي ظلـت تحـاول بشـتى الطـرق الحفـاظ عليها. أما الهويّة النفسية فظلت مهزوزة محطّمة مع زيادة القلق والخوف.

يثبـت لنـا الـراوي تعاطفـه مـع شخصـية الزوج(التـي يمثلهـا هـو) يوجـه انظـار القـارئ(العربي الشـرقي) إليهـا دون أن يكـون محايـداً مـع شخصـيتيْ الصـراع بـنفس المسـتوى يقـدّم لنـا صـورة كاملـة لـه وناقصة للشخصية الاخرى(الزوجة).

إنّـه يـرى الأمـر مـن منظـور اجتمـاعي بحـت يرجعـه للعـادات والتقاليـد كونـه رجـلاً شـرقياً لا يُظهر ذلك صراحةً ولكن تتسرب منه دون ان يعلم بكلامه وتصرفاته.

يصبح طرفي الصراع هوية انثوية وهوية اجتماعية فوق حلبة الهوية الجنسية التي على أساسها يُدار الصراع فينتصر بالنهاية الراوي(الزوج) بفرض سلطته والانتهاء لحل يرضيه هو؛ لأنّ الرجل الشرقي يحرص دائما على أن تكون زوجته محافظة على خجلها حتى فيما بينهما(عقدة الرجولة)التي يفرضها المجتمع بأن لا تكون الزوجة اعلى منه رغبةً ليظل هو صاحب السلطة محافظاً على رجولته أمامها. ولهذا فيظل يكرر أنّه يريدها أن تعود خجولة :

" كنت أحب حياءها القروي وأزداد عشقا لجمال فطرتها وقوّة المعاشرة معها، لم تدعني يوما أرى جسدها كلّه"[62]

" فقدت الكثير من روحها الجميلة ذات الحياء الفطري والقروية المحببة" [63]

" سلوكها بدأ يخيفني أخشى أن تتمرد "[64]

إنّ لفظة(تتمرد)التي استخدمها الراوي هي من يقوم لأجلها الصراع على الرغم من أن الراوي يحاول أن يوجه القارئ لأمرٍ مغاير بأنّه يسعى لعلاجها لأنه يحبها يؤلمه أن يراها تتألم لكن الحقيقة هو أنه يخشى(التمرد)

ظلّ الأمر يؤرّقه كونه يمس رجولته، إضافة لعقدة أخرى وهي إن رغبتها الزائدة واعتيادها الأمر بشكل كبير ومبالغ قد يدفعها لفعل أي شيء ومع أي احد ولهذا ظلّت الاوهام تلاحقه والشكوك وظلّ يفسر أي تصرف منها على أنّها خيانة فظهرت الغيرة المرضية وهي عقدة ثالثة.

" تنتابني أحاسيس كثيرة من أن أشياء ما ستقع في بيتي وهي أحاسيس طبيعية لرجل مثلي وجد زوجته تتحول من أنثى جميلة هادئة إلى نمرة غير محتشمة تذرع البيت عارية من دون تحفظ "[65]

ونلاحظ أن الراوي استخدم عبارة (احاسيس طبيعية لرجل مثلي) وكأنه يطلب من القارئ أن يقدر موقفه بأن هذا هو الطبيعي لأي رجل .

وكذلك حين نصحه مديره: " لا تفكر هكذا الشك يعقد المشكلة ويجعلك انسانا انانيا زوجتك انسانة رافقتك عشرين سنة بحلو الحياة ومرها. "[66]

إنّه منذ اللحظة الاولى لأصابتها لم يتفهّم الأمر، لم يتقبله إنّه أمر صعب بالنسبة له يمس رجولته ويزحزح هويته الذكورية وهو المحكوم بالعادات والتقاليد إنّه متألم لمصيبتها لكنّ ألمه الاكبر هو أنّها كانت مكشوفة امام الاطباء، هي قواعد وضعها المجتمع تتخلخل هويته حين تتخلخل هذه القواعد وإن كانت هي من الأساس رخوة؛ وهذا ما يحدث كثيرا في المجتمع حين يفضلون أن تموت المرأة على أن تُعالج على يد طبيب رجل. " كنت افكّر بأنّ هذه الزوجة الخجولة _ حتى منّي _ كيف استوعبت كل فضيحة العري مع عيون الاطباء والجرّاحين"[67]

فهو بصراع كبير بين أن يتقبل إن زوجته غير مذنبة وأن يتخلى عن هويته التي جُبل عليها فهو يرى أنّ في جسد المرأة قداسة تزول لو كُشف حتى لو كان ذلك للعلاج، يكرر لفظة(قروية) دائما؛ ليثبت أنه ينتمي لهذه الهوية بكل قسوتها وتشددها ولا يمكنه التنصل منها مهما حاول أن يبدو متفهما. " إنّ جسد نور خرج من قرويته المقدسة الى الملأ حين تناوبت عليه أيدي وعيون الجراحين والمضمدين في اكثر المناطق سرية وعفة "[68]

ايضاً: " الجسد هو الاخلاق وهذه نشأة طبيعية لا افلسفها بقدر ما انتمي إليها بغريزة اجتماعية لا يمكن ان اتجاوزها ولعل نور كامرأة اكثر مني تحفظا وتشبثا بهذه القيمة وهذه الهوية الشخصية لكن تبدد كل شيء الآن وانسفح الجسد كالمياه الفائضة. "[69]

فالزوج هو الراوي هنا وما نخلص إليه إنه عكس صراع المجتمع مع الجسد الأنثوي فشكّل لنا نتيجة لذلك هوية ثقافية تستند إلى الخوف من الجسد وضبطه عن طريق التقاليد والعادات (الجائرة)

وهنا يتضح ما ذكرناه بأن الهوية الأنثوية قد تحكّم بها الرجل حين كان هو(الراوي)فأنتج لنا هوية مفككة انتهت بما يلائم تقاليده وإرادته حيث مارس عليها كل الحيل النفسية، اخفى صوتها، شوّه معاناتها واستخفّ بها وانتهى بها إلى أن يلغي انوثتها تماما(بالختان)الانوثة التي صارعت كثيرا لتحافظ عليها. وبهذا فقد كشف لنا ثقافة الجنس والجسد بالمجتمع وهو ساحة للصراعات المتمثلة بالرغبة والحرية والرقابة والقيد الاجتماعي. وبهذا كله اختفى صوت الضحية وظهر الصوت الذكوري فقط؛ لأن الرجل هو الممسك بزمام كل شيء حتى الكلام، وهذا واقع اجتماعي عكسه الراوي في سرده فالمرأة جسد وأزمة ولا يسمع صوتها إلّا بوساطة رجل؛ وهذا أسهم بتشكيل هوية ثقافية تكشف إن جسد المرأة ليس للمرأة فقط بل ملكاً جماعيا يفسر ظواهره ومتغيراته، ويتحكم به الرجل.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أنّ:

اولا: مفهوم الراوي ليس مفهوما سرديا فقط، وصورة خيالية يخلقها المؤلف ليدير بها نصّه السردي بل إنّه ايضا يسهم بشكل كبير بتشكيل هوية ثقافية داخل النص، مكوّنة من مجموع الجوانب الحياتية المختلفة، وليس بالضرورة أن تكون هوية متماسكة بل في الكثير من الاحيان تأتي مفككة؛ وذلك بسبب الصراعات المستمرة التي يخوضها المجتمع في النص والتي تشكل بالنهاية هوية هذا المجتمع.

ثانيا: لا يمكن للراوي المشارك أن يكون عليما، فهو إما مشاركا بصناعة الحدث لكن معرفته لا تتجاوز حدود معرفة الشخصية، أو أنه مشاهد فقط فيتساوى بكلتا الحالتين مع معرفة الشخصية.

ثالثا: الراوي المشارك يعجز في إيصال الصورة الحقيقية المطلوبة كما هي وقلّما يكون حياديا؛ لأنه يرى الأمر من زاويته المحدودة فقط ويبني على تلك الزاوية وجهات نظره الخاصة.

رابعا: فقدان الهوية يكون نتيجة أزمات نفسية، أو إن الازمات النفسية تؤدي بالنهاية إلى فقدان الهوية، وعليه فالهوية ترتبط بقوّة بالحالة النفسية.

المستخلص باللغة الانكليزية

This work explores the role of the narrator in shaping cultural identity, a multifaceted aspect of life for individuals belonging to a particular society. It begins with a clear understanding of the narrator and identity, and from this starting point, it examines the general process through which cultural identity is ultimately formed by the narrator. The work then moves to a reading of selected texts by prominent journalists, such as Ward Badr Al-Salem, analyzing them structurally to identify the crucial role the narrator plays in shaping identity. To achieve this, the approach begins with learning how to read and analyze texts, as their primary purpose is not to describe them from outside the document or interpret them within external social/historical contexts, but rather to reveal how they are constructed within the narrative discourse itself. The most suitable model exercises are employed, as the analysis remains closely tied to the textual structure, centered on the narrator as the axis from which the elements that produce meaning branch out. This study was divided into three sections. The first section examines the role of religion and its significant contribution to shaping cultural identity through the narrator in the text. The second section explores the role of politics in shaping cultural identity, and the third and final section addresses the sexual aspect. These three aspects form a triangle that underpins any society, and if misdirected, they can lead to psychological crises that undermine the very foundation of identity. Therefore, the study concludes that establishing a strong identity is a result of psychological crises, or rather, that psychological crises lead to a strong sense of identity, and that identity is strongly linked to psychological state.

Keywords: Wared Bader Al-Salim, the narrator, the participating narrator, identity.

الهامش

[1] الراوي والنص القصصي، د. عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب 2006، القاهرة مصر،ص17

[2] يُنظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت لبنان، ص263، ص264

[3] الراوي والنص القصصي، ص17، ص18

[4] الراوي النمط والوظيفة، د. طه وادي، مقالة منشورة في مجلة الجسرة ، العدد 4، 1 يناير 2000، وموجودة في ارشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية، الرابط: https://share.google/f643GdAQWJjPOz4gY

[5] يُنظر: السرد في الرواية العربية ، د. عبد الرحيم الكردي ، الطبعة الاولى 2006، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر، ص121

[6] بنية النص السردي، حميد لحمداني، الطبعة الاولى 1991، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص49

[7] يُنظر: الهوية: اليكس ميكشيللي، ترجمة د. علي وطفة، الطبعة العربية الاولى، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق سوريا، ص16، ص18، ص19، ص20

[8] الهوية، حسن حنفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، الطبعة الاولى 2012، القاهرة مصر، ص73

[9] العلمانية طاعون العصر، د. سامي عامري، الطبعة الاولى 2017، دار تكوين، السعودية ، ص99

[10] مصطفى باحو في كتابه العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، نقلا عن البروفيسور جون كيف في ندوة لندن يونيو 1994 حول سقوط العلمانية والتحدي الاسلامي للغرب ، الطبعة الاولى، 2012، المكتبة الاسلامية، القاهرة مصر، ص13

[11] الرجل المئوي، ص2

[12] الرجل المئوي، ص4

[13] الرجل المئوي، ص7

[14] سورة الانبياء، الآية 105

[15] مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الجزء السابع ، دار المرتضى ، بيروت لبنان، ص88

[16] الرجل المئوي، ص40

[17] الرجل المئوي، ص14

[18] الرجل المئوي، ص24

[19] الرجل المئوي، ص24

[20] يُنظر، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ، زغو محمد ، استاذ مساعد قسم ب كلية العلوم القانونية والادارية ، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، ص98

[21] العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، ص257، ص258

[22] حكاية العلمانية – الجذور التاريخية والتحديات – الباحث: لوران غريزون ، مجلة الاستغراب ، العدد2، السنة 2016، تاريخ اضافة البحث، 27 ديسمبر 2015

[23] اشكاليات الهوية وبناء الدولة والمجتمع عند فالح عبد الجبار، تأليف وضاح فاضل العنبكي، اشراف أ. م. د احمد عدنان الميالي، الطبعة الاولى 2021، مركز الرافدين، بيروت/النجف الاشرف

[24] الرجل المئوي، ص52

[25] الرجل المئوي، ص22

[26] الرجل المئوي، ص23

[27] ماذا فعل جيرار جينيت بالرواية؟، خولة عمامرة، مدونات الجزيرة، 2018/11/8، الرابط: https://www.aljazeera.net/blogs/2018/11/8/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%81%D8%B9%D9%84-%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%AC%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%AA-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9?utm_source=chatgpt.com

[28] يُنظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، الطبعة الاولى 1990،المركز الثقافي، بيروت لبنان،ص133

[29] الرواية السياسية والتخييل السياسي، جميل حمداوي، مقالة منشورة على مجلة ديوان العرب، الاحد 11 آذار(مارس) 2007، الرابط: https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9

[30] الرواية السياسية، د. طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر، ص5

[31] قراءة في الادب السياسي، د. ميرنا داود، نشر بتاريخ 2019/5/22، الرابط: https://www.enooma.com/detailednews/180413?utm_source=perplexity

[32] يُنظر: المصدر نفسه

[33] الرواية السياسية، ص8

[34] صباغو احذية الوطن، ص3

[35] صباغو احذية الوطن، ص9

[36] صباغو احذية الوطن، ص10

[37] يُنظر: الاعلام وتأثيره والسياسة الخارجية، دينا سليمان كمال، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم علوم سياسية، مصر المركز الديمقراطي العربي، 27فبراير2020، الرابط: https://democraticac.de/?p=64961&utm_source=perplexity

[38] انحياز سياسي، تحولات وسائل الاعلام في ظل الاستقطاب الاقليمي ، د. محمد عز العرب، رئيس وحدة الدراسات العربية والاقليمية، الرابط: https://acpss.ahram.org.eg/News/16334.aspx?utm_source=perplexity

[39] صباغو احذية الوطن، ص105

[40] صباغو احذية الوطن، ص113

[41] صباغو احذية الوطن، ص106

[42] الجرائم الجنسية، د. علي الحوات، الطبعة الاولى 1997، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض السعودية، ص40

[43] الجنس في الأدب العربي.. عندما يصبح الممنوع مرغوبًا، مقال لمرتضى الشاذلي، نشر على نون بوست، بتاريخ23 يناير 2018، الرابط:https://share.google/axfqZcvgzuFGMduYq

[44] يُنظر: الأدب والايحاء الجنسي في الرواية العربية، مقال لسليمة ميلزي ادبية واعلامية جزائرية، سبتمبر2018، الرابط: https://share.google/lUWKKdeQdDOAyoevW

[45] محادثة الكترونية مع الاستاذ وارد بدر، السبت 2025/7/26

[46] شظية في مكان حساس، وارد بدر السالم، الطبعة الاولى 2021، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمان الاردن. ص5

[47] شظية في مكان حساس ، ص5

[48] المصدر نفسه، ص21

[49] المصدر نفسه، ص27

[50] المصدر نفسه، ص36

[51] المصدر نفسه، ص55

[52] المصدر نفسه، ص58

[53] المصدر نفسه، ص63

[54] شظية في مكان حساس، ص21

[55] المصدر نفسه، ص63

[56] المصدر نفسه، ص55

[57] المصدر نفسه، ص86

[58] ماهية القلق الاجتماعي بين علم النفس والفلسفة، د. حسام الدين فياض، مجلة الأنطولوجيا، الرابط: https://share.google/H5D0X3BoBmrz0ytbQ

[59] شظية في مكان حساس، ص193

[60] شظية في مكان حساس، ص168

[61] شظية في مكان حساس، ص192

[62] شظية في مكان حساس، ص44

[63] المصدر نفسه، ص132

[64] شظية في مكان حساس، ص139

[65] المصدر نفسه، ص174

[66] المصدر نفسه، ص139

[67] شظية في مكان حساس، ص42

[68] المصدر نقسه، ص132

[69] المصدر نفسه، ص132

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الجزء السابع ، دار المرتضى ، بيروت لبنان.
3. حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، الطبعة الاولى 1990، المركز الثقافي، بيروت لبنان.
4. حميد لحمداني، بنية النص السردي، الطبعة الاولى 1991، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
5. د. سامي عامري، العلمانية طاعون العصر، الطبعة الاولى 2017، دار تكوين، السعودية ،
6. د. طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر.
7. د. عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب 2006، القاهرة مصر
8. د. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية العربية، الطبعة الاولى 2006، مكتبة الآداب، القاهرة مصر.
9. مصطفى باحو، العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام، الطبعة الاولى 2012، المكتبة الاسلامية، القاهرة مصر.
10. وارد بدر، الرجل المئوي، الطبعة الاولى 2024، الدراويش للنشر والترجمة ، بلغاريا
11. وارد بدر السالم، شظية في مكان حساس، الطبعة الاولى 2021، خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمان الاردن.
12. وارد بدر ، صباغو احذية الوطن، الدار العربية، دمشق
13. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت لبنان.
14. جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي، مقالة منشورة على مجلة ديوان العرب، آذار/مارس 2017
15. خولة عمارة، ماذا فعل جيرار جنيت بالرواية، مدونات الجزيرة، 2018/11/18
16. دينا سليمان كمال، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم علوم سياسية، مصر، المركز الديمقراطي العربي، 27 فبراير، 2020
17. د. حسام الدين الفياض، ماهيّة القلق الاجتماعي بين علم النفس والفلسفة، مجلة الانطولوجيا
18. العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب
19. زغو محمد ، استاذ مساعد قسم ب كلية العلوم القانونية والادارية ، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف
20. سليمة ميلزي، الأدب والايحاء الجنسي في الرواية العربية، مقالة أدبية، سبتمبر2018
21. د. طه وادي، الراوي النمط والوظيفة، مقالة منشورة في مجلة الجسرة، العدد 4، نُشرت في 1 يناير 2000
22. د. علي الحوات، الجرائم الجنسية، الطبعة الاولى 1997، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، السعودية.
23. د. محمد عز العرب رئيس وحدة الدراسات العربية والاقليمية، مقال: انحياز سياسي، تحولات وسائل الاعلام في ظل الاستقطاب الاقليمي.
24. مرتضى الشاذلي، الجنس في الادب العربي .. عندما يصبح الممنوع مرغوبا، مقال نُشر على نون بوست بتاريخ: 23 يناير 2018
25. ميرنا داود، قراءة في الادب السياسي، مقال نُشر بتاريخ: 2019/5/22
26. لوران غريزون، حكاية العلمانية _ الجذور التاريخية والتحديات _ بحث منشور على مجلة الاستغراب، العدد2، السنة 2016، تاريخ اضافة البحث 27 ديسمبر 2015
27. محادثة الكترونية مع الاستاذ وارد بدر، السبت2025/7/26